العولمة في مواجهة مبدأ المساواة بين إرادات الدول ذات السيادة التامة

د. محمد حمام

عميد كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة الجلفة– الجزائر

إن ظاهرة العولمة على اختلاف مفاهيمها أصبحت تشكل سلاحا ذو حدين ، فهي إما أن تنقاد الأمم المتخلفة في كنفها وإما أن ترضخ لعواقبها التي هدفت إلى إذابة الشخصية الأممية في دولة واحدة هي الدولة التي تحكم العالم بقبضة جديدة.

فنحن نقر اليوم أن أمريكا و إسرائيل وبعض دول الجمود الدولية يملكان من السلاح النووي الهدام ما يجعلهما يتشدقان ويبرزان عضلاتهما من هذا الجانب .

فإذا كانت العمليات الانتحارية التي يقوم بها الفلسطينيون دفاعا عن أرضهم تعتبرها دول القوية إرهابا فهذا يعني إسقاطا للخوف الذي تضخمه أمريكا ومن ورائها علماء الفيزياء بأن العالم سينتهي في لحظات بمجرد الضغط على زر واحد والأصل هو نهايتنا جميعا إذا شاء اللّه ، فأي معنى لأمريكا ولحياتها و لاقتصادها بدون العرب.

فالعمليات الانتحارية اليوم ورغم اختلاف الرؤى الشرعية إلا أنها فعلا تخيف عمالقة العالم ولم ترد في حساباتها، لأنه لم تعي أن هناك صنف من البشر يحب الموت إلى درجة الهوس أكثر من الحياة ، فكيف تكون المواجهة أي التصدي لانعكاسات العولمة داخليا وخارجيا، وقبل ذلك يجب الإشارة أولا: إلى مختلف الانعكاسات لأنه كما قلت أصبحت تقنية العولمة مرتبطة بكل مناحي الحياة حتى السلوكيات الشخصية يجب أن تتعولم أي باختصار الحرف والصور ، أن يكون هناك استنساخ العربي إلى غربي وهذا يعني تجريده من كل عناصر الشخصية واللغة والدين والسلوك وتلك هي المشكلة ولهذا سنحاول التطرق إلى الانعكاسات المختلفة للعولمة:

. المطلب I : . تفسخ الهوية :

أو بالأحرى ممارسة التغريب باستعمال وسائل غير عسكرية لتجريد العربي المسلم والنامي والمتخلف من مظاهر حياته وتعويضها بسلوكات لا تواكب عقيدته العربية والدينية سواء كانت إسلامية أو مسيحية ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَق**﴾.

والشيء الذي استهدف تلطيخ الهوية من طرف المتعولمين لاشك يبرز في محاربة الفرد نفسيا وبدنيا حتى يرضخ إلى قبول مذهب العولمة ذي البعد المستقبلي، ويرى الباحث أن العولمة إذا ما استمرت بهذه المسعى سوف تتشكل لتصبح مذهبا فلسفيا على غرار مذاهب الإغريق كأرسطو وأفلاطون ، ومن بين العناصر المستهدفة:

*ـ **الفرد** : إن الفرد مهما كان ضعفه في العالم وبالأخص العربي المسلم هو المستهدف لأن يعد العولمة يعني محو كل عناصر الرفض لما هو عالمي إيجابي وسلبياته لأنهم يأخذون من حقائق إنبهار الفرد بالحضارة الغربية، فلا ينكر أي فرد زائر لأوروبا و خاصة أمريكا إعجابه بالتقدم الذي وصلوا إليه ويتمنى أن تكون بلاده بتلك الصورة ، وهم يعرفون تماما خلفيات هذا الإعجاب ، لهذا نراهم يبنون ويشيرون دائما في مشاريعهم التنموية إلى إبهار المشرق والمغرب بقوتهم .

ولا ينكر اثنان أن الفرد تنجم سلامته ومعافاته الفكرية والجسمية من خلال شيئين إثنين هما: العقيدة ثم الأخلاق وهذين العنصرين هما الذي تستهدفهما العولمة، ربما قد يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده، كيف تؤثر العولمة على العقيدة والأخلاق؟

تبقى العقيدة هي منهاج أي فرد، اقتنع بقوة جبارة تعلو الكون وعندنا هي وحدانية المولى عزّ وجل، والعربي والبربري والمسلم هم الهدف الرئيسي للمشروع خصوصا أنهم يعتقدون إلى درجة كبيرة بوجود اللّه.

فالحضارة متسارعة وإنشغال الناس في أوروبا بالعمل والعمل فقط لتأمين حياة قد تنتهي يوما، ولا مجال آخر أو بالأحرى وقتا للعبادات فاللّه عندهم هو الوقت والمال والسرعة والقوة ، أما خلاف ذلك فتنبذه العولمة الموجهة إلى العربي والبربري والمسلم ، إن انعكاس العولمة على الفرد كبير جدا، قال عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح في الجزائر:[1] (الإيمان والتقوى هو العلاج الوحيد لنا من حالاتنا لأننا إذا التزمنا هما نكون قد أقلعنا عن أسباب العذاب) ويضيف (ولنبدأ من الإيمان بتطهير عقائدنا من الشرك وأخلاقنا من الفساد وأعمالنا من المخالفات،

فبدوام المسعى واستمراره يأتي القليل من الإصلاح ..) فالفرد هو مزيح لكل التجارب وهو مصدر عالمي للعولمة ومنهاجها: فهو مخير بين ما كان متأصلا فيه وبين ما يبهره وفي متناوله ، كيف ذلك ؟

هو ما نعبر عنه بالانعكاس الخطير لمنهاج العولمة إذا اقتنع بها الفرد دون تبصر لأنها تحمل أيضا ما هو إيجابي خارجي عن مجال العقيدة الدينية التي لا نقاش فيها أبدا.

. الانعكاسات السلبية :

. إبعاد الفرد عن دينه :

إن مثل العولمة كالخمر مضارها أكثر من منافعها ولكنها تبقى في كل الأحوال ظاهرة تفرض وجودها علينا من قبل أن ينادى بها ،فكل أفكار كتابنا من العرب و الأمازيغ والهنود والمسلمين نادوا بالمحافظة على الهوية وعدم التفريط بالاعتقاد الواحدي باللّه تعالى وحتى نحرم من يمكن أن يقول أنه هو من نادى بها فإن الباحث يرى أن محمد صلى الله عليه وسلم هو صاحبها على الطريقة الإسلامية (**إنما بعثت إلى الناس كافة**) ، فأين كيسنجر أو نيكسون أو تلمود اليهود والنصارى من محمد بن عبد اللّه ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ .

سوف تحارب العولمة أي فرد مسلم أي لا يركب القطار إلا مشرك يؤمن بالوقت والسرعة والمرأة أما بغيرها فلا يعني هذا التصرف الانخراط في البهيمية أي لا إله يرجع إليه الأمر كله ويعود تخطيط هذا العنصر إلى بني صهيون في برتوكولا تهم حيث ورد في البرتوكول 12 : (عندما نصبح أسياد العالم لن نسمح بقيام أي دين عير ديننا، ومن أجل ذلك يجب إزالة العقائد، وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأممية عير اليهودية).

. ب . اللامبالاة :

ومفاد ذلك السعي أن لا يترك المتزمت في الوقت الراهن صلاته ودينه لأن في أمريكا وعيرها من الدول توجد المساجد والكنائس والحرمات فيها مصانة كمرحلة أولى على أن يتعداها لاحقا بالتهجم على رجال الدين " وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين غير اليهود في أعين الناس ولذلك نجحنا في الأضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة في طريقنا " ،فلما يرى الفرد عبث رجال الدين بالمعتقدات وعجزهم حتى على إصلاح أنفسهم يغرسن في نفسه نبذ العقيدة التي لا ترنو بها إلى القناعة .

. ج . صرف النظر مؤقتا:

إن الشعور بالخطيئة غالبا ما يولد في المرء شعور بالندم عندما يكتشف أن الحالة التي قادته إلى سلوك ثاني محسوب على أمته وأمن بلده تجعله يفكر في الهجرة وهذا التفكير مرده إلى عوامل تتعلق بإمكانياته المادية المحضة وبالعوامل الإدارية بين القارات وعندما يتأكد أن كل تلك الأشياء قد يصل في لحظة إن هو صرف النظر كلية عن شعوره بالندم أو البكاء ، ولا يتم له ذلك إلا إذا جرد نفسه من الروابط الماسونية التالية:

ـ عدم التفكير في المشاغل الزوجية بل عليه أن يفكر في الجنس ولا يبقى لرجل امرأة واحدة ولا للمرأة رجل واحد و الابتعاد عن الإنجاب للتفرغ للدين الجديد والانقطاع عن معتقدات المجتمع والتحرر من الدين ومن قضايا الحلال والحرام ونبذ الثقافة القومية والتحرر من خجل النفس فلا شيء يدعو للخجل مادام أن الإنسان موجود وحر وحقيقي فلا خجل من العورة ولا من أعضائهم التناسلية حين يجتمعون في نوادي العراة. [2]

. المطلب II : تغريب الشباب العربي :

إن قوة أية أمة هو حركية شبابها الذي تنبني عليه ،كل الثورات التي شهدتها البشرية كانت بفعل الشباب داخل أطر العمل المنظم فهو على حسب مقولة جول ناهرو الروح المحركة للديمقراطية داخل الدولة التي سوف تواجه العالمية السياسية والاقتصادية وسيكون عاملا قويا للسلام في آسيا والعالم فالعقل الجماهيري هو الخلاص وعند الأعراب هو المعارك وحماة الوطن ولهذا فقد استلهمت العالمية الشبانية عالم الطفولة والشباب بتقديم السموم المبثوثة في أفلام الإثارة والدعاية ولعل أول مظاهر هذا التغريب :

1 ـ **تشجيع الإباحية الجنسية**: إن أي مظهر يرتبط بالحرية الشخصية لابد أن يرتبط بالحرية الجنسية التي تقضي على الحدود وتزيل عوائق الحرمات وتظهر الشباب بمظهر البهيمية حتى أصبحت. تتطور نحو الأسوأ من خلال تبني مظاهر الخلوة ، وتطور الأمر إلى أن أصبح مشاهدة مظاهر العرى والتفشي الجنسي في الشوارع أمر عادي ، والمخزي أن مثل تلك المظاهر نالت رضى حكماء الأسرة الملتزمة والمتسلطة وأصبحت الفتاة البكر تجري علاقات مشبوهة على مرأى ومسمع من الأهل ويتحججون بأن لكل زمن ناسه وهو مظهر عالمي لأن الأوربي قد تربى على مثل هذه النوازع فصارت جزءا من عقائده اليومية .

2 . تشجيع الهجرة للعمل والدراسة : لقد تكالبت الكثير من المدارس والمعاهد المتخصصة في توفير آليات تسهيل الهجرة إلى البلدان التي تستهوي أخبارها شباب الأمة ككندا وأمريكا وإنجلترا وغيرهم كثير ، وقد سهلت

حكومات تلك الدول إجراءات إنشائها وأصبح مجرد التسجيل على ورقة مشفوعة ببيانات ومعلومات شخصية أن نلتحق بأي عمل عن طريق (Lotry) أو الجامعات للدراسة يشرف اليهود على معظم مقاييسها.

وأنظمت ألوية الشباب الفارين من أوطانهم للعمل وتأمين المستقبل فظاهريا هم معذورون لأنه لا طاقة لهم في مواجهة الإغراءات التي تحاصرهم من كل جانب أمام تعقد مسائل الحياة في الأوطان العربية وأقف لتبرير ذلك مع ما أشار له الباحث مصطفى في كتابه "الرؤية الغائبة "حين أشار إلى وجود خلط بين الرؤية والخطة بين الهدف القومي العام والمشروع الفكري للوطن وبين بعض الإنجازات التي تتحقق ولكنها لا تعبر في مجملها مع اختفاء التناسق بينها عوز الرؤية العامة ، وهذا بالطبع مرده إلى الانفصال بين الرؤيا والسلطة بين الوعي والواقع ، وهذا الانفصال هو الذي جعل العولمة تبدي تأثيرها بصورة جنونية على شباب لا يجد متطلبات العيش على غرار أقرانه بأوربا فإذا كان كريستوفر كولومبس قد استعان بخرائط الرحالة العربي الإدريسي مكتشف القارة الأمريكية في إعطائه حقا ليس حقه فالعولمة تحاول سلب شباب الأمة طاقاته البدنية والذهنية للاستعانة به لتحطيم مقوماته دون أن تفقد حضارتها ولا أحد من عناصرها .[3]

3 . القنوات الفضائية وغزو الإعلام : من أبرز تأثيرات العولمة على المستوى المحلي هو تطور محتوى الرسالة الإعلامية الموجهة لجلب وهدم شخصية العربي وغير الأوربي وهم على وعي متطور ومتقدم من خلال إحساسهم بالسيطرة المستمرة والمتواصلة على مجالات الإعلام المسموع والمرئي ، فصارت الثقافة الكوزموبوليتيكية من واجهات التمدن الحديث التي استشرى عليها شبابنا .

فالمعلومات التي يستقبلها المواطن يختزنها إلى جانب رصيد ثقافي معتبر من وسائل أخرى وبتفاعل تلك المعلومات مع الواقع تتكون للشباب رؤية متجددة تؤدي به إلى الهجرة أو اتخاذ موقف مضاد يعبر به عن سير عقليته المكتسبة بالتفاعل المعرفي .

المطلب III : طمس المعالم اللغوية :

لن أتناول اللغة من وجهة نظر علم اللسانيات ولا كما عرفها ميشال زكريا على أنها مجموعة من التراكيب الدلالية التي يجب لتوفرها أن تتخذ قناة اتصالية سهلة ،فأوربا قدرت تماما أن الشعوب الدنيا تعتز بلغتها ولهجاتها المتعددة ولما كانت العربية هي لغة القرآن ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ﴾ فقد تزاوج كرهها إلى جانب الدين فلهذا أصبحت الدول الأوروبية تسعى وتسخر كل جهودها لنشر لغاتها عبر العالم وأقيمت مراكز البحوث المتخصصة في اللغة كمركز بحوث ميرار76 بلندن ومجمع الكاثوليك بإيطاليا ،لمحاربة العربية والإسلام، فقد تقوت الكتابات

الأوروبية الموجهة إلى الشباب باستعمال ما يثير الشباب وما يتلائم مع عقد الليبدوا[4] الجنس والموضة وأخبار الفنانين الذي تسم أخبارا بالجنسية والفتنة والجمال لأنهم أي كتاب العالمية الجنسية قد وصفوا ملاحظات الدعاية الجنسية إلى غاية نهايتها وقد لايهالك منظر عربيات يعرضنا عراهن في قنوات الجنس، وقد ورد في برتوكول 14 من برتوكولات صهيون مانصه: " .... فقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدبا مريضا قذرا يغشى النفوس ويستمر فترة قصيرة " .

فلا يمكن أن نقف موقف الساكت عن الحق فإن هناك من عمالقة الفكر الذين تجب قراءة ما كتبوه أمثال فورجيل، وهوميروس، فيكتور هيغوا، وروسى، وإقبال، وطه حسين، وقاسم أمين، أحدثوا تغييرات في شعوبهم من خلال أفكارهم الخيالية وعلى هذا الأساس كانت فكرة إنشاء وطن قومي لليهود فكرة مزاج متيودور هرتزل وهو أبو الصهيونية العالمية .

لقد شاءت العالمية الفكرية والأدبية أن تفرض على الراغبين في العولمة أسماء لكتاب يكتبون بازدواجية ويمثلون أدوار سينمائيا بنفس الصفة وهم كثر فقد تهجم الكاتب البارع جورج زيدان في بعض كتاباته على الإسلام ورمي الأمير عبد القادر الجزائري بالماسونية (ماسوني حر).[5]

إن نظرية وأفكار علماء أمثال داروين وفرويد ورفائيل ودوركايم وماركس ونيتشه وسبينوزا ، أصبحنا ندرسها رغما عنا ولا نأخذ منها فائدة بقدر ما تخلف فينا لرأي ما نراه موافقا لنزعتنا في الأول والأخير ولا سيما نظريات سيمون دي بوفوار صاحب إشكالية الفمينوم التي تدعو إلى الإباحية الجنسية، وأصبح يكتب عنها أدباء برزوا إلى العالمية في أوقات كان الأدب فيها غائبا، وعلى رأسهم إحسان عبد القدوس والطاهر وطار ونوال العدواى، هؤلاء رغم عروبتهم فقد فضحوا المرأة وخبيوا بين الأزواج ضمن أبطال قصصهم وهم اليوم أصحاب مال وجاه .

وتلك هي أيضا المشكلة :

فالانهدام وارد في الذات العربية التي لها قابلية للاستعمار، فإذا كان يفترض في الأديب والشاعر أن يكون منظار الأمة وإذا كان كذلك فمتى كان للبغل عرس ومتى كانت المرأة تتزوج أربعة ؟ .

إن هذا التغريب لهو الخطر في أدبنا المغشوش وفي نفوسنا المخدوعة فأي منا يكتب عن الموانع في المرأة ويفنن أكثر من شعراء وأدباء السبعينيات لكن ليست تلك هي المشكلة بل الأدهى منها وأمر سوف تذهب اللغة والقيم الحضارية مع عالمية الفكر والأدب .

المبحث الثاني : الانعكاسات الاقتصادية :

المطلب I : تأخر الصناعات العربية :

إذا كان نظام الأورو قد أدخل إلى أوروبا نوعا من الانتعاش الاقتصادي في بلدانها فلا يعد الأمر مشابها بالنسبة للدول العربية لأن الدول الأوروبية تشكل في حد ذاتها منطقه اقتصادية فاعلة وديموغرافية مهمة فعدد سكان دول الأورو يتعدى سكان الولايات المتحدة الأمريكية ، ويعني تجمع مراكز القوى الاقتصادية نتيجة سلبية لأمريكا وحلفائها التي أخرت نوعا في مستقبلياتها الاهتمام بدول المجموعة الاقتصادية التي خرجت عن طوع أمريكا هذه الأخيرة إنما تعني في استراتيجياتها الاستحواذ على اقتصاديات العالم ومواطن إفريقيا حتى يتسنى السيطرة على مراكز الثروات من جهة و الأسواق الدولية من ناحية ثانية.

فلا يمكن أن نتوهم أن أمريكا أو دولة العولمة لا تعاني البطالة والتدهور الإقتصادي .-

إن حي جور حانون الذي يتموقع ضمن أفخر المراكز السكانية، يعد في حد ذاته ظاهرة في الفقر والتسول فلا زال العالم يذكر منظر تلك السيدة التي حملت لافتة مع إبنتها تقول فيها: " نحن جائعون بلا مأوى " لم يستطيع الإعلام الأمريكي أن يحجب مثل هذه الحقيقة عن أنظار الملايين من سكان العالم ومن ورائها تشرد 19مليون فرد في أزمة بسبب مجتمع رأس مال محلي(400 عائلة أرستوقراطية تتحكم في العالم باسم مبادئ الديمقراطية وتدفع أمريكا بشبابها في المناطق البعيدة لتستخدمه في تنفيذ أهواء العسكريين والسياسيين .[6]

فإذا كنا نطمح إلى عولمة على الطراز الأمريكي فهذا المجتمع مليء بالمتناقضات الاجتماعية فهناك التضخم الكبير والعجز والاضطراب في الميزانية بسبب المساعدات المصرية إلى إسرائيل، فلا يمكن أن نثبت أن قاعدة الضعف رغم امتلاكنا لكل الثروات الإستراتيجية ، ولا يمكن حتى تقرير المصير لأن الاقتصاد الأوربي أصبح منقسم إلى شركات عملاقة موزعة عبر العالم بأرمادة كبيرة من العمال ، فقد أصبحت مثل تلك الشركات مطابقة أصلا لمنظمات عسكرية فيما يخص معايير تسيير الموارد وحتى السياسة وقد طبقت (LG) نمطا معينا يعتمد على الانضباط للاستفادة من إقتصاد السلم ولما كانت هذه المتتالية مشروطة بآلية التسيير العسكري فإنه لكي يمشي هذا الأخير بصورة صحيحة عليه أن يختار له قرار سياسي شجاع قد يكون في مستوى طموح السلطة وقد عملت السلطة الأمريكية إلى مجاراة الألة العسكرية وتدعيم ترسانتها بكل المعدات

فإذا ما تحقق مثال الظفر بالعولمة الاقتصادية فإن هناك مشاغل تطرح منها :

- ضغف البنية التحتية للصناعة .
- انعدام صناعات ثقيلة و الكترونية دقيقة
- غياب كلي لسياسة التسيير داخل المؤسسات الإدارية و الصناعية
- انتشار ظواهر الفقر و الأمية التي أنجبت آفات اجتماعية رهيبة .

ولكي يتم علاج تلك الانشغالات وجب التفكير في معادلة لهذا الإرث من الانشغالات .

وهذا بالتدقيق حول رسم سياسة صناعية على الأقل بإمكانيات محلية حتى وعلى العموم و لا يمكن حصر تأثير العولمة على المناحي الاقتصادية في الصناعة بل وفي كل ما له علاقة بالتكنولوجية لأن عامل التبعية تعد في سياق السياسة الاقتصادية الدولية مؤشر استراتيجي

ولهذا يبقى دور الدولة المنظمة استراتيجي لإعادة توزيع الدخل توزيعا عادلا حتى يتم الاستثمار لسد الحاجيات ويتعجب الباحث كيف يكون دور للأمة ضمن الاقتصاد المعولم سوى قيادة هذه الأخيرة نحو فوضى اقتصادية تذهب معها اطوار المحاولات الفردية للاقتصاديين المحليين وتجعل كل نظرياتهم لا تساوي شيئا امام مذاهب الاقتصاد المعولم فلا يمكن للامة ان تحقق قيادة جيدة قصد تحسين المستوى المعيشي لافرادها كما ذهب في ذلك المحلل الاقتصادي المعروف عبد الرحمان مقبول حتى وان نمت المساهمات الفردية في القيمة المضافة الا انها تبقى تنمية تبعوية لاقتصاد معولم وذلك هو اكبر تاثير للعولمة على اقتصادياتنا .

المطلب II : تكدس الميزان التجاري :

السؤال الجوهري الذي تجدر الاشارة الى اجابته ؟ يتمثل في :

اولا : هل هناك سلعة عربية خارج اطار العولمة .

هل هناك سلعة اوغندية او نيجيرية او لبنانية خارج العولمة .

للإجابة على مثل هذين الانشغالين يجب تذكير ان الاقتصاد العربي اليوم يحاول بكل ما اوتي ان يواجه اقتصاديات العالم المعاصر بكل ما اوتي من قوة لاسيما ما يتعلق بصادرات وواردات الدول التي تبقى تعني المواد الاستهلاكية الواسعة الانتشار ثم المواد النصف مصنعة و الصيدلانية و قد حقق مثل هذا المبدأ قفزة في مجال الاستيراد .

لكن ما يدعو فعلا الى معرفة حجم المبادلات التجارية التي تدخل في اطار العولمة يتمثل في تجارة القمح التي تطورت كثيرا فقد اصبحت صادرات القمح العالمية تتم من طرف عدد محدود من الدول منها USA و كندا و السوق الاوروبية المشتركة و استراليا و الارجنتين وهي دول تساهم بـ 95 % من مبيعات القمح في السوق الدولية التي تساهم فيها USA 3/2 محصولها وبهذا تحولت الى مطمورة دولية للحبوب التي ستدخل ايضا في استراتجيتها

الدولية اما بالنسبة للإستيراد فإن 150 دولة تقريبا تستورد في هذا المجال ويكمن ان تتوزع بين بلدان الصين الشعبية 13 % التي تتزايد استيرادها من الحبوب بسبب (التضخم السكاني)ثم تأتي رومانيا وكل دول المعسكر الشرقي التي لم يتطور اقتصادها .

فإن تأثير العولمة الامريكية سوف يأتي من القمح رغم ان هناك دول منتجة له لكنها في الاول و الاخير تنتج من اجل المطمورة الدولية للحبوب منها تركيا و سهول اكرانيا .

نهر الدرن وسهول سيبيريا الغربية وقد استعملت شركات عملاقة للتجحارة الدو لية في مجال الحبوب (كارجيل ، كونتيننتال ، و Green borg و الفرنسية لوس دريفوس و السوسرية أندري وتدير اعمالها عن طريق شبكة معلومات دولية مختصة في دراسة تحولات السوق الدولية وكثيرا ما كانت تتفاوض مع الحكومات الند للند .

واذا اصبحت تتشكل وسيلة ضغط في مفاوضتها السياسية و اداة مهيمنة فكيف يسمح لدولة كسوريا او تونس او بوراندي او ليبيا بالهيمنة على سوق القمح خاصة اذا كانت ترفض التعامل للاحتكار في المجال الزراعي .

فالعولمة محليا تؤثر تأثيرا جانبيا على سياسة المواد الغذائية و تدخرها كسلاح ضد العديد من الدول التي تحاول ان تتعولم نحوأن الانقياد والاتباع المباشر لسياستهم بدلا من سياسة المحلية .

المطلب III : تكدس المنتوجات و الصناعات :

قبل أن نتكلم عن عملية استلاب في المنظور الصناعي فإن هناك معادلة صراع بين الأنظمة الاقتصادية وجدت من أجل التدخل في اقتصاديات وسياسات الدول الصناعية التي لم يعد ينتظرها إلاّ الانقياد طواعية إن هي سلمت وأفرطت التسليم في ثرواتها خصوصا لما يستعمل بسلاح القمح فإن الدول الغربية التي تحاول قيادة العالم المتخلف استغلت الانقسامات التي أحدثت بفعل الماسونية المتكاملة على تفرقة الشعوب عن

أنظمة حكمها في العالم وصارت تفرض تلك الدول إرادة قوية لاستلاب المكونات الرسوبية البحرية التي تحيط بها الفوقعات النفطية .

فإذا ما تعولمنا نحو المنحى الاقتصادي فإنه حتما سوف تنقاد الدول ذات البعد العالمي حيث أصبحت أقطار شرف شبه الجزيرة والعراق والشام من اهتمامات هذه الشركات النفطية التي شب بينها صراع مستميت عبر الأزمنة من أجل هذه الثروة التي رغم ضخمها تبقى مكدسة لكونها لا تصدر إلا خاما أي مثلها مثل أي مادة ذات استعمالات مختلفة، فالعولمة تريد أن تحافظ على المستودع العالمي للمنتوجات حتى إن كانت خام ولعل ما يصعب مهمة التفريط في الكيان العربي هو المميزات الجغرافية والطبيعية والبشرية التي تتمتع بها هذه الأقطار من المناطق النفطية العالمية وعلى رأس تلك المميزات قرب مصادر النفط من سطح الأرض هذه الأخيرة تلعب دورا كبيرا في التخفيض من عملية التنقيب والإنتاج إذ يتراوح عمق البئر في أقطار شبه الجزيرة العربية مابين 9950/2400 قدم بينما يصل في أمريكا إلى 18000 قدم وفي روسيا 21000 قدم إضافة إلى غنى حقولها وسرعة تدفق نفطها ، لكن وصلت تكلفت البرميل الواحد في بلاد العرب إلى 11% وكندا 7% وفنزويلا 6% ، فعيون أمريكا وحلفائها لازالت جاثمة حول المنتوجات الباطنية للعرب والدول الفقيرة وأي ماس هو ماس للمصالح الحيوية.

. كيف تساهم العولمة في التكديس .؟؟.

كلما ظلت حقول النفط والموارد الرسوبية العربية والفنزويلية والماليزية تحت السيطرة الدولية وكلما بقت السوق القمعية في يد رماه الكرة، فإن القواعد المشتركة لمنظمات الدولية تبقى تحاول العمل من أجل رعاية المصالح المشتركة وتحقيق أهداف معينة على الصعيد الدولي .

فمنظمة الأمم المتحدة كشكل من المنظمات المشتركة لم يشكل تأسيسها إلاّ من خضم هائل من دول لا تملك أدنى وسائل التعولم إلاّ أنها تحافظ على مكانها سواء داخل مختلف هيئاتONU .

فإذا كان الاعتراف الدولي أقرب إلى القانون الدولي من القانون الدستوري فإنه من الواجب إلى طريقتين الاعتراف المنشئ : إن الاعتراف هو شرط للتمتع بالجودة العالمية ومن الأركان التي تظهر من عدم الاعتراف هي :

. اعتبار أموالها ليست ملكها و يجوز الحجز عليها .

. لا يحق لها التمسك بالمعاهدات الدولية .

. لا تتمتع الدولة بالحصانة القضائية أمام محاكم الدول الأجنبية .

. تعامل سفنها كمعاملة سفن القرصنة .

. الاعتراف الممرر: هو اعتراف كاشف إذ تكتمل الدولة

بمجرد توفر الأركان الثلاث إذ لا يكفي الاعتراف من جانب واحد إذن فالعولمة التي تنتظر اقتصاديا تناسته شبه الاعتراف المنشى.. .

المبحث الثالث : الانعكاسات السياسية :

المطلب I : تغييب الوعي السياسي :

عندما يكون الباحث أو القارئ جادا مع فكره فإنه سيكتشف أن العولمة تغيب القرار السياسي المحلي وتجعل منه أداة فقط في يد منهم أقوى وأقصد هنا القيادة الجماعية للعالم في إطار التكتل الاقتصادي أي المجموعة الاقتصادية الأوروبية أو الولايات المتحدة توظفه كلما دعت الضرورة إلى ذلك فهذا من بين أولى الانعكاسات الخطيرة، وما يجسد هذه الخطورة هو انصهار الإرادة السياسية مع ما يتلاءم والمصلحة الدولية التي سبق الحديث عنها فيصبح النظام السياسي لكل بؤرة وإصلاحه غير مطبقا إذا ما تعارض مع مصالح الدول المجتمعة(الحلفاء) والشركات فيجد نفسه إما محاصرا بالإرادة السياسية خصوصا لما يطالب بتغيير مادة من مواد القانون أو المراسيم التي تنظم عملا ما، أو محاصرا من طرف الإخوان والأشقاء بحكم الدين أو الجيرة أو المصلحة المشتركة .

إن تأثير العولمة على الوعي السياسي، سوف يقتل كل مبادرة تهدف إلى اعتناق إيديولوجية مهما كان خطها لأن البلدان (الموجودة في القيادة) تخشى أن يتم توحيد إيديولوجي لمجموعة من الدويلات نرى فعلا الولايات المتحدة أنها محطة تهديد لأمنها الاقتصادي .

إننا نكاد نقر أن العولمة السياسية سوف تقضي على مظاهر الوحدة والشراكة بين الدول وهذا ينطوي وفق إطارين :

ـ استيلاء الدول العظمى على أنظمة التسيير في الدول الصغرى وإنشاء أنظمة موازية تعمل لصالحها وتأتمر بأمرها على حد قول الرئيس الراحل بومدين في إحدى خطبه السياسية الشهيرة .

. الدخول في أحلاف مع الدول الكبرى أو عقود شراكة إنما سيعجل بانصهار هذه الدولة داخل مجالات النظام السياسي ويشرع في تقليد أجهزة سلبية بدون التفكير في مشروعيتها أو ملاءمتها وهذا أخطر من الأول لسببين :

. عدم احترام دستور البلاد في حد ذاتها .

. استيراد منهج تسيير سياسي لا يتطابق وثقافة المجتمع لتلك الدولة خصوصا عندما يصطدم ذلك بوازع الدين.

لقد أثبت الوعي السياسي في كل دول العالم نتائج إيجابية أدت إلى تحقيق الاستقرار في حركية المجتمع أو اللاإستقرار ونعني بها الثورة ضد الأوضاع المزرية خصوصا عندما يرقى الفكر السياسي إلى اتهام جهاز من أجهزة الدول بالضلوع في الفساد .

فتغييب الوعي السياسي سوف يؤدي إلى تمرير كل السياسات الأخرى بحجة الحضارة والتقدم وبالتالي فلا مجال للتعقيب .

إن تجربة الدول العربية أثبتت أن شعوبها ماضية في وعي سياسي جديد فقد انتشرت الأحزاب السياسية واستحدثت الدول في دساتيرها قوانين لإعلان التعددية السياسية فأصبحت الخارطة مليئة بالأفكار السياسية التي تعبر كل واحدة منها على خدمة مبدأ ما، لكن المشكلة تبقى تكمن في نوع هذه الأحزاب هل هي أحزاب سوف تعجل بعلاج المشكلة القائمة ؟ .

فنجد أن أغلبها يريد الانطلاق من معايير يتفق حولها الناس ، فهي أحزاب تتبنى أحلام الناس وطموحاتهم من أجل إما الصعود إلى تحقيق مصالح ذاتية أم أنهم منقادين كما أشير إليهم عندما تعرضت إلى شراء الذمم لضرب الأنظمة من الداخل والخارج حتى يبقى مفروض عليها الاحتكام إلى الإرادة السياسية الدولية، وتلك هي المشكلة.

المطلب II : طمس التكتل الدولي :

إن أكبر شيء يمكن أن نسجله عندما نتناول تأثير العولمة على سياسة التكتل فإنني أجدني متميزا لفكرة فشل العولمة في الدول الصغرى التي تريد أن تندمج في الحداثة والمعاصرة على طريقة وسلوك معيشة الآخرين أي أن التكتل داخل المنظومة الدولية سوف يقاوم بجميع الأشكال وخصصت معاهد الدراسات الشاملة في أوروبا لإفشال أي مشروع وحدوي .

حتى وأن العالم سجل لأول مرة قفزة تاريخية إتحاد مجموعة دول أوروبا على نداء الوحدة، إلاّ أنه إتحاد لازال يتعرض لضغوطات أمريكية لإحباطه وربما قد يتساءل الكثير عن أهلية هذا الربط، فإن الباحث لا يجد جدوى في ربط مصير USA بالمجموعة الاقتصادية الأوربية في حد ذاتها بما قد يكون فعلا مصيرا مشتركا بسبب قضية الأوربية ولم يمكن أن نصدق في كل الأحوال أن أمريكا هي المجموعة الأوربية بل العكس أن أمريكا أحست أنها وقعت في المنقلب المحرج عندما لم توجد دولة من دول الاتحاد تعارض الاتحاد من أجل أمريكا .

فمهما كان الهدوء السكون الذي يضرب الاتحاد يبقى في الأول والآخر مجردا من كل شكل تعاطفي في الظاهر مع أمريكا أو غيرها لأن دول الاتحاد تبقى تريد المحافظة على شخصيتها الدولية، والمتمعن لكتاب توني بلبير رئيس وزراء بريطانيا يكتشف حقيقة مرة مفادها الطريق الأصوب للوصول إلى الرأسمالية والمتمثل في دور القطاع الخاص كمحرك وحيد للاقتصاد ولما تقترن السياسة بالاقتصاد تصبح أمام عولمة سلبية اقتصادية موحدة، وهذا ما يجعل إمكانيات أي إتحاد اقتصادي تفشل لأنها تتناول خصوصية التعامل مع القطاع الخاص وهذا كما هو معروف يقودنا إلى طرق متتالية حتى لا نقول جديدة بل هي متجددة تتمثل في تحقيق قيمة الأشخاص الدولية التي تكتسب من قيمة كل فرد من أفراده ، فقيمة الفرد الغربي تتعاظم بقوته الاقتصادية وتزيد معها مهانة العربي باختبائه وراء بتروله ومعهما تزداد قوة الاتحاد وضعفه ، فإذا كانت العولمة تريد أن تحفظ قيمة فرد دون سواها فقد كتبت الفشل على ذات الجنس .

المطلب III : تغييب القرار المشترك :

إن مبدأ المساواة بين إرادات الدول يعد من بين أكبر العوامل لقيام فرصا للاتحاد وفق مصلحة مشتركة وغياب الحساس بهذا المنطق له أسباب منها :

. الانفراد بحق المبادرة على المستوى الدولي لأكبر دولة وبالتالي تضل هاته الدولة تعمل على التدويل لفطرتها مما يشجب وضعها من طرف دولة أخرى مناهضة لسياستها .

. غياب التدريب المستمر للأفراد لمواجهة تغيرات سوق العمل . الاعتقاد العرقي ومواجهة الأديان.

فلما كانت العولمة تعني في نظرنا أن ننصهر في المتتاليات الدولية سوف يفرق هذا الانصهار نظرة غيرنا لمصلحته خصوصا إذا كان انضمامنا ما يضر مصلحته التي تبقى دائما من بين اهتمامات السياسة الخارجية الدولية .

دون شك أن اختلاف النظرة إلى المصالح سيعقد استعمال القرار الواحد أو لصالح أي دولة ولنأخذ مثالا واحدا عندما اختارت الجزائر العمل بنظام التخطيط الاشتراكي في تنمية اقتصادها الوطني ، عندما اقتضى هذا السلوك منها أن تطبق أسلوب التخطيط لأداء العملية فقد كان أول مخطط أقرته هو المخطط الثلاثي 69/67 حدد حجمه الاستثماري بـ: 9.16 مليار دينار ثم جاء بعده المخطط الرباعي II 77/74 فبلغت استثماراته 121.23 مليار ، أما المخطط الخماسي الأول 84/80 فقدرت تكاليفه الاستثمارية بـ: 560.5 مليار دينار جزائري فيما كان المخطط التقديري الخماسي الثاني 89/85 هو 550 مليار ، فكان ذلك المنهج محل إعجاب كل الدول الاشتراكية بينما عجزت دول رأسمالية أخرى وراهنت على تفاقم الوضع الاقتصادي لأنها تنبأت بفشل التخطيط كبرنامج اقتصادي و اجتماعي .

إن اصطدام أي دولة بفكرة (السيادة) سيجعل القرار المشترك غاب قوسين أو أدنى من التراجع حتى في مقاومة الفقر في إفريقيا ، فنظام القانون الداخلي للدول النامية يترجم في حد ذاته ضغوطا سياسيا لتقوية المصالح الأجنبية ، لهذا فإن طرق أي نوع من تحقيق القرار المشترك سيعجل بدفن أي مبادرة لقرار مشترك خارج نطاق المصلحة الدولية ، فرغم الجهود المبذولة لمنح الدول الحديثة العهد بالعولمة ما يلائمها إلاّ أنهم لا يعطوها إلاّ ما يملكون إي بمعنى أن تدفع الدول المغلوبة على أمرها ثمن دخولها العولمة بالتخلي عن مجموعة من مبادئها الدولية كأن تكون على استعداد لقبول الاستعمار وليس أن تستعمر .

الهوامش:

[1] - تركي رابح – الشيخ عبد الحميد بن باديس – S.N.E.D – ص 213 – الجزائر .

[2] - أبوجرة سلطاني . برتوكولات خبثاء صهيون . شركة الشهاب . ص 56 .

[3] - دراسة حول الرؤية الغائية . مصطفى فقي . الشعب 97/11/17 .

[4] - الليبيدوا : مصطلح له علاقة بنظرية الوحدانية وهو إسم يطلق على الحب .

[5] - فؤاد صالح السيد . الأمير عبد القادر الجزائري . S.N.E.P ص 25 .

[6] - أنظر صفحة (قراءة في الأخبار). جريدة الزحف الأخضر. العدد 579 . بتاريخ 6 شهر الحرث 90 .